

المشكلة الثقافية وسبل إعادة هيكلة وعي المسلم المعاصر في مواجهة العولمة- المشروع الثقافي لمالك بن نبي أنموذجاً-

The culture problem and ways to restructure modern Muslim
consciousness- the culture project of malik bin nabi as a model



ملاح محمد^{*1}

¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

mohamed.mellah213@ummt0.dz

² د. نجية حمدي

² جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)

nadjiahmadi16@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/29

تاريخ القبول للنشر: 2022/12/08

تاريخ الاستلام: 2022/02/28

ملخص: يعتبر موضوع الثقافة من المواضيع الهامة لارتباطه بالجانب الحضاري، فهي الوعاء الذي يستوعب الهوية والتي يتحرك في حدودها الإنسان، وسنسلط الضوء على مسألة الثقافة عند بن نبي من منظور حضاري، وأهميتها في تجاوز التكديس والتبعية التي فرضتها العولمة على الجانب الثقافي محاولة منها سلخ الهويات والعمل على تشكيل ثقافة عالمية بطعم لائكي، لإبعادها عن دورها الريادي، وسنتطرق إلى طرح المقاربة الثقافية لمالك بن نبي كآلية لفك الارتباط الفكري والثقافي مع الفكر الغربي، والتي تنطلق من خصوصياتنا الحضارية.

الكلمات المفتاحية: الحضارة؛ مالك بن نبي؛ الثقافة؛ العولمة.

Abstract: THE CULTURE IS THE vessel that accommodates identity, It is the framework within which a person moves. This study addresses the issue of culture of Malik ben Nabi from a civilized perspective and And its importance in overcoming dependency imposed by the phenomenon of globaliZation On the cultural side. The study will also attempt to present the cultural approach of Malik ben Nabi as a mechanism for the intellectual and cultural disengagement from Western thought, which stems from our civilizational peculiarities

key words: Malik ben Nabi; Culture; Globalization; Civilization.

1. مقدمة:

تعتبر الحضارة قمة الرقي والإبداع في هذه الحياة، فهي مسيرة مضيئة للتاريخ تعطي لمن يريد لها إشعاعاً في دخول التاريخ، والمتأمل في التاريخ الإسلامي يلمس أهميتها على المستوى التاريخي بما قدمته للإنسانية جمعاء، لكن مع مرور الزمن تعرضت هذه الحضارة إلى انتكاسات نتيجة التراجع الفكري للعالم الإسلامي، لتبرئ الطريق أمام صدمة ثانية إصابتها وهي الاستعمار الذي أدى بها إلى التراجع عن ركب الحضارة؛ فبعد نيل هذه الدول لاستقلالها، فكرت في كيفية الوصول إلى ركب المتحضرين لكنها كانت تفتقد إلى أهم عامل وهو العامل الفكري، إضافة إلى تكون ترسبات مست الجانب الثقافي للفرد المستعمر، ما أدى إلى بؤس تراجع في العالم الثقافي، هذا الأخير أعطاه المفكر مالك بن نبي أهمية كبرى في إطار دراسته لمشكلات الحضارة، وهذا لارتباطه بالعنصر الأهم في المعادلة الحضارية وهي الإنسان، فقد تناول مالك بن نبي بالدراسة أسباب انحطاط الأمة الإسلامية التي كانت تشغله في إطار تساؤل مستمر لماذا تأخر المسلمون وتقدم الآخرون؟ والذي قاده إلى الوقوف على أهم أسس البناء والوقوف على أماكن العلة التي أدت بنا إلى التخلف؛ وهذا من خلال عملية تحليل لمفهوم الحضارة والبحث عن الدوافع التي تحركها ومنه طرح الإشكالية التالية:

إلى أي مدى يمكن للمشروع الذي صاغه مالك بن نبي حول الثقافة في الحفاظ على الهوية الإسلامية والأمن الثقافي للمجتمع لجزائري ومواجهة السموم التي تبثها إفرازات العولمة على المستوى الثقافي؟
وتبعاً لما ذكره سابقاً سوف يتم معالجة هذا الموضوع والإجابة على إشكاليته الرئيسية من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي، لوصف الظاهرة المراد دراستها وسيتم توظيفه في وصف واقع الثقافة وأهم أسباب التي أثرت فيها وأيضاً العمل على تحليل تجليات العولمة على الجانب الثقافي للفرد المسلم ومحاولة الخروج من حالة التبعية الثقافية والفكرية.
أسباب دراسة الموضوع:

- هو معرفة صفات التميز التي جاء بها نظرة مالك بن نبي للثقافة فضلاً عن معرفة انعكاس هذه النظرة على واقعنا المعاصر والتي تنطلق من مشروع حضاري.
- معرفة اثر مشروع الثقافة من المنظور الحضاري كما طرحه مالك بن نبي للخروج من التبعية.
- فالثقافة ركيزة أساسية في المشروع الكلي للحضارة صاغه، وكيف تساهم في عملية البناء الحضاري.
- محاولة إسقاط المشروع الذي قدمه مالك بن نبي حول الثقافة على واقعنا اليوم الذي تتعرض فيه الثقافة الإسلامية لمحاولات العزل والانسلاخ بفعل القوة التي وتضفيها العولمة الثقافية في محاربة الموروثات الثقافية.

أهداف الدراسة:

- يتمثل الهدف الأول في تأكيد الولاء والانتماء للثقافة الإسلامية والأعراض عن كل ما يشق وحدة الأمة ويبعدها عن ولائها وانتمائها وذلك بالإعراض عنه والتولي عن مفاهيمه وتصوراتهِ والانتباه

لمكائد الغرب ومواجهته بالحجة في إطار الاجتهاد والبناء وذلك بوضع الاستراتيجيات ومعرفة العواقب لمواجهة الأهداف الغربية ولحماية الهوية من التغريب .

- محاولة تقديم رؤية مالك بن نبي في الجانب الثقافي وكيفية الإعتماد عليها لمواجهة اخطار العولمة الثقافية، والعمل على تعزيز ثقافتنا وبناء وعي مجتمعي قادر على التعايش مع الهويات العالمية مع الحفاظ على الهوية الاسلامية .

-تقسيم الدراسة

المحور الأول : الإطار المفاهيمي للدراسة

المحور الثاني :مسألة الهوية الثقافية في ظل التحديات المعاصرة (العولمة الثقافية)

المحور الثالث:أهمية الهوية الثقافية في فك الارتباط مع التبعية من منظور مالك بن نبي.

2. المحور الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

إن لكل مجتمع ثقافة خاصة تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، فهي تتضمن نمط معيشتهم، أساليبهم الفكرية، معارفهم، معتقداتهم وقيمهم، فيستخدمونها في تفاعلهم اتجاه بعضهم فكل ما تتضمنه الثقافة من معارف وخبرات وقيم هو من صنع الإنسان نفسه، سنتطرق في هاذ الجانب أولاً إلى مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي، وهذا نظرا لطبيعة المشروع الثقافي الذي طرحه مالك بن نبي في إطار معالجته لمشكلات الحضارة ، اذ يعتبر مشروع كلي .

1.2 مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

يعتبر مالك بن نبي أن التاريخ هو النشاط المشترك للأشياء، الأشخاص والأفكار، وهو مجموع الحركات والأفكار التي تشكل حقل دراسة وثروة من التجارب البشرية التي نتأملها في نجاحها وإخفاقها (قلاطي، 2019، ص61)، فقد عالج مالك بن نبي في كتاباته العديد من المواضيع ؛ غير أن القضية الرئيسية التي شغلته هي مشكلات الحضارة فيقول:"إن المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي أكثر من ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة، فالحضارة هي النقطة البعيدة التي ينبغي أن يؤول إليها كل تغيير اجتماعي ايجابي.(سعود، 2006، ص120)

اعتبر مالك بن نبي أن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، ويتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات وتهدمها، (بن نبي، 1985، ص50) فالأزمة حضارية، لهذا أولى اهتمام كبير في الجانب الحضاري لعامل البناء على التكديس؛ والعمل على حل المشكلات الأساسية التي تمثل العناصر الأولية التي نحصل عليها من خلال ناتج حضاري، (بن نبي، 1985، ص52) واعتبر أن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التالية:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

وتحت هذا الشكل تشير الصيغة إلى أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات؛ مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، فالقيام ببناء حضارة لا يكون بتكديس الأشياء بل بمعالجة المشكلات الفعلية للحضارة، واعتبر أن المفاعل الأساسي لتفاعل عناصر الحضارة ببعضها البعض هو الفكرة الدينية التي ترافق تركيب كل حضارة عبر التاريخ. (بن نبي، 2013، ص 52)

2.2 مفهوم الثقافة :

تعتبر الثقافة الإطار والمضمون الفكري الذي يحدد المجتمع سماه، فهي ثمرة لنشاط فكري وقد عرفها فيرث 1951 "firth" إذا نظرنا إلى المجتمع على أنه يمثل مجموعة من الأفراد فان الثقافة طريقتهم في الحياة، وإذا ما اعتبرناه مجموعة العلاقات الاجتماعية، فان الثقافة هي محتوى هذه العلاقات، وإذا كان المجتمع يهتم بالعنصر الإنساني، وبتجمع الأفراد والعلاقات المتبادلة بينهم فان الثقافة تعني بالمظاهر التراكمية والمادية واللامادية التي يتوارثها الناس، ويستخدمونها ويتناقلونها، وللثقافة محتوى فكري ينظم الأفعال الإنسانية وهي من وجهة النظر السلوكية، سلوك متعلم أو مكتسب اجتماعيا وهي فوق كل ذلك حافز للعمل. (استيتية، 2008، ص 226)

وبناء على ذلك ومن خلال الدور الذي تضطلع به في التطور الاجتماعي فالثقافة ؛ نسق يتميز بالانسجام الداخلي العميق، ويتمتع باستقلال نسبي عن بقية الأنساق، يتفاعل معها ويوحدها عن طريق توحيد الأنماط الفعلية التي تحكمها، فبقايمها بالوظائف المعيارية والرمزية التي من خلالها تقوم بتكوين الفعل وتحديد كيفية استيعابه للواقع، فهي إذا تشكل أساس الوجود الاجتماعي واستمرارها في الوعي، فالثقافة بوجه التحديد هي إنتاج الذات المادية للمجتمع ؛ أي القدرة على النمو والتطور ضمن سيرورة التطور الحضاري. (الجسور، 2009، 143)

3.2 مفهوم الثقافة من منظور مالك بن نبي:

جاءت أفكار بن نبي حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة لما تم صياغته في إطار الفكر الليبرالي أو في إطار الفكر الاشتراكي، لذا جمع مالك بن نبي أفكاره حول الثقافة وعرضها من جديد، (بن نبي، 2016، ص 8) فالثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي الأخلاق، الجمال، المنطق العملي والصناعة. فالثقافة إذا تعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي عاش فيه، بالتالي فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.

فهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، فهذا التعريف يضم "الإنسان" و"فلسفته الجماعية" ومقومات المجتمع مع أخذنا في عين الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعا في كيان واحد تحدثه عملية التركيب التي تجرئها الثورة الروحية ما يساهم في عملية بناء الحضارة. (بن نبي، 2016، ص 74).

4.2 مفهوم العولمة :

لقد شاع استخدام مصطلح العولمة واتسع نطاق تداوله، نتيجة التحولات في البيئة الإستراتيجية، وكلمة العولمة هي ترجمة للكلمة الانجليزية غلوباليزاسيو GLOBALIZATION، ولها عدة مرادفات مثل الكونية، الكوكبية، الشمولية، وتعود في أصلها الإشتقائي إلى كلمة العالم؛ وتعني تعميم الشيء والانتقال به من حيز الخصوصية أو الوطنية إلى حيز العمومية أو العالمية. (النواصرة، 2018، ص35)

العولمة هي ظاهرة لنظام عالمي جديد ينزع إلى تحقيق من مزيد من الترابط، التداخل والتعاون بين جميع دول العالم في جميع المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والتكنولوجية بحيث تختفي في هذا النظام صفة السيادة للدولة؛ لأن حريتها في التصرف تكون مقيدة في ظل هذا النظام لذا يمكن وصفها إنها التبعية العالمية. (الموسي، 2005، ص13)

3. المحور الثاني : مسألة الهوية الثقافية في ظل التحديات المعاصرة (تأثيرات العولمة على الجانب الثقافي)

فرضت العولمة نفسها بقوة لتطال جميع مناحي الحياة، إذ تعمل على ترويج نمط أحادي على جميع المستويات؛ وهذا بفضل الثورة التكنولوجية، لذلك تعتبر كسبب رئيسي في الوقت الراهن التي تعمل على تشتيت الروابط الاجتماعية إضمحلال التراث القيمي للمجتمعات، فكيف تعمل على تطبيق هذا المشروع؟

1.3 العولمة كعامل لتغيير المشروع الثقافي :

من أكثر المسائل التي تثير جدلا اليوم مسألة الثقافة والهوية، وهذا نظرا إلى المخرجات التي أفرزتها العولمة، فقد أصبحت من بين أهم التحديات داخل الدولة في محاولتها لصياغة مشروع ثقافي نابع من خصوصياتها من أجل الخروج من دائرة التخلف والدخول إلى منارة الحضارة، فكيف تؤثر العولمة في الإنتاج والاستهلاك الثقافي؟ وماهي انعكاساتها على الهوية الثقافية؟

2.3 البعد الثقافي للعولمة :

إن فرض الهيمنة على شعوب العالم فكريا وثقافيا يتم عن طريق الفصل بين الشعوب وحضارتها المتمثلة في تراثها القيمي، وهذا للتقليل من فاعلية التراث والأصالة ثم في النهاية فقدان الهوية الوطنية والذوبان في بوتقة الثقافة المعولمة التي تقوم على الماديات والعلمانية.

تعرف العولمة الثقافية بأنها محاولة مجتمع ما تعميم نموذج الثقافة على المجتمعات الأخرى؛ من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية أو القيم الثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية، اقتصادية، ثقافية، وتقنية متعددة.

كما تعرف أيضا بأنها الإمتداد الخارجي للثقافة المحلية المعنية إلى أقصى حدودها أي (العلم الجامع)، فتصبح الثقافات المختلفة منخرطة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي بعد حين جميع العالم. (النواصرة، ص35)

كان الغزو في الماضي يتم بأدوات بدائية كالسيف والرمح، أما اليوم فإن طرق الغزو اختلفت فقديمًا كانت تعتمد على أسس مادية ملموسة، أما حاليا فالأمر يختلف عن سابقه، فقد أصبح يعتمد على القوة

الناعمة ؛ فيعمل على ضرب القيم، حتى يتسنى له زرع قيم خاصة به ، فلم تعد الثقافة كما كانت في الماضي خاضعة لوسائل تقليدية في النشر، فالיום أصبحت متأثرة إلى حد بعيد بالتكنولوجيا التي إستطاعت القيام بمهمة الاختراق الثقافي؛ أي أن عملية السيطرة أصبحت تعطي للعامل التكنولوجي دور محوري . (العايد، 2004، ص ص 95، ص 96)

ومع عصر العولمة تغير براديغم تشكل الهويات، نشهد اليوم تحولا جذريا في مفهوم الهوية؛ ناتج عن التغيرات التي طرأت على مفهوم القوة فقد أصبحت الثقافة البانية للهويات من الأسلحة الثقيلة في الحروب الناعمة في عالم اليوم وبخاصة في إنتاج الأفكار والمعارف. (عماد، 2017 ، ص 12).

فالعولمة الثقافية تسعى إلى إعادة تركيب المجتمعات بعد تجريدها من هويتها الأصلية وتزويد وعيها الجمعي وفرض الإرادة الغربية عليها وإجبارها على التعايش الذي بدا وكأنه نتيجة منطقية، ويخفى وراءه تهميشا يبدأ بأفكار تعريف الذات وينتهي بإسقاط الصفة الحضارية عنها، (نواصرة، 2018، ص 109) وفي المقابل فان العامل الذي جعل من العولمة تبسط نفوذها في الواقع هو جانبها الاقتصادي والتقني، وهذا بفضل الدور البارز للإقتصاد ؛ فقد إستطاعت أن تخلق من خلالها تبعية في جميع مناحي الحياة، (زند، 2012، ص 159).

كما يعرف "عبد العزيز بلقزيز ثقافة العولمة بأنها؛ فعل اغتصابي ثقافي وعدواني على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة (الرواشد، ص.70).

3.3 طرق تأثير العولمة على المجتمعات

كما تؤثر العولمة على قلوبية المجتمعات والأفراد في طريقتين:

أولاً: عولمة أسلوب الحياة واستلهاهم المرجعيات الفكرية الغربية

ثانياً: تقريب المجتمعات وربطه، (زند، 2012 ص 69). سعياً لتقارب الحضارات الذي يؤدي إلى خلق عالم بلا حدود ثقافية والتكريس لهيمنة ثقافية واحدة على سائر الثقافات، (الرواشد، ص 71) ، تدعو إلى تجاوز الخصوصيات للمجتمعات البشرية، (عماد، 2017 ص 128) فمسيرة الطريق الذي رسمته معالم العولمة يوقعنا في فخها الذي رسمته؛ وهذا من خلال إيهام الشعوب على المستوى العالمي بوجود الإنتماء إلى ثقافة عالمية وطمس الفروق الحضارية بين المجتمعات والأخذ بالثقافة المركزية كأساس للثقافة العالمية.

بالتالي فالعولمة تعمل على ضرب الدين الذي انبثقت منه أنظمة أخلاقية والذي يعتبر أهم المصادر البنائية للهوية الثقافية الإسلامية، (عبدالغني، ص 108) ففرض الهيمنة الغربية على شعوب العالم فكراً وثقافياً يتم عن طريق الفصل بين الشعوب وحضاراتها المتمثلة في تراثها القيمي والأصالة ثم في النهاية فقدان الهوية القومية والذوبان في بوتقة الثقافة العالمية الجديدة التي تقوم على الماديات، فالطريقة التي تفرض بها بعض الثقافات قوتها على الثقافات الأخرى يصطلح عليه بالامبريالية الثقافية، بحيث تصدر الأمم والثقافات الأكثر قوة ممارساتها إلى مناطق جديدة جبرا، (بنتشايافانز، 2009، ص 67). فعندما تبلغ الهيمنة الثقافية درجة متقدمة وتتفاقم التبعية الثقافية يبقى الأمر محصوراً بين المفاضلة بين النموذج المتفوق

فتعيش الثقافة المغلوبة أزمة هوية ، هنا إذا فقدت الجماعة تميزها الثقافي فقدت هويتها الخاصة التي تميزها (عماد، 127)، فماذا نعني بالهوية الثقافية ؟

الهوية الثقافية : هي القدر الثابت والجوهري والمشارك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات ، وهي أيضا نظام من القيم والتصورات التي تميز بها مجتمع ما تبعاً لخصوصيات تاريخية وحضارية ، فكل شعب ينتهي إلى ثقافة تميزه عن غيره وهي كيان يتطور باستمرار ويتأثر بالهويات الثقافية الأخرى (بلاغماس، 2019 ، ص 238). ، بالتالي فالهوية الثقافية تعني التفرد الثقافي. فما هي أهم المؤثرات على الثقافة ؟

تتأثر الثقافة حالياً بالعمولة وإفرازاتها فقبل ان تعمل على هدم الهوية الثقافية كلياً تعمل أولاً على تغيير العناصر الصانعة أو الداعمة في تكوين الهوية، وتعمل على عرض منتجات جديدة تكون بمثابة هويات جديدة، (زند. ص 146)

فالهدف الذي تسعى العمولة الثقافية للوصول إليه هو :

نزع الخصوصية الفردية، ومحو الهوية الذاتية للشعوب ومنها العربية الإسلامية ، وإخضاعها للسيطرة المركزية.

توحيد الثقافات العالمية وصهرها في ثقافة واحدة وإلغاء التعددية الثقافية من خلال وضع معايير ثابتة للتطور الشامل بحيث تستطيع بعض الثقافات الانسجام ومن لم تستطع فسيكون مآلها الزوال ، (النواصرة، ص 53) فصهر الثقافة الوطنية في ثقافة العمولة يؤدي إلى خلق نموذج ثقافي عالمي تصهر فيه جميع الثقافات وترمي إلى تذويب الثقافات الأخرى ليس في ثقافتها وإنما تذويب بمعنى العمل على اندثارها. (العايد، ص 161)

تحطيم الروابط والثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية لشعوب، بهدف إيجاد شعوب معاصرة ترقى إلى مستوى معايير التطور المدروسة بعيداً عن الأصالة والموروث الديني والتاريخي ، ليسهل اندماجها في الثقافة الغربية .

التقليل من القدرات الوطنية للدول بحيث لا تسيطر على المجال الثقافي وخلخلة البنية الثقافية فيها مما يسهل عملية الاحتراق الثقافي .

إقصاء الثقافات الأخرى بسبب عدم قدرتها على الانسجام مع متطلبات العمولة . (النواصرة، ص 54) إذا فالعمولة الثقافية تعمل على نخر الهوية القومية الوطنية عبر الاستلاب ، التهجين وفرض نسق واحد من القيم ، ويضيف في هذا الجانب اليد يسين فيقول "أن أي مجتمع إنساني له خصوصية (هوية ثقافية) بحكم تاريخه الاجتماعي الذي لا يمكن أن يتكرر فهو أشبه بالبصمة الثقافية المتفردة، كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها الثقافية المميزة مثل المنطقة العربية على سبيل المثال ، (العايد، ص 11) فالمجتمعات الحالية تواجه تأثيرات نموذج عالمي، فالشعوب والثقافات وجدت نفسها مكشوفة أمام تدفق الرسائل والمعلومات والقيم الجديدة التي عملت على اختراق الحدود الثقافية ؛ وذلك انطلاقاً من مراكز صناعة وترويج النماذج الثقافية الغربية ، وهذا نتيجة الاختراق الثقافي الذي تتعرض له الهوية العربية

الإسلامية ونسق القيم، لذلك فإن مؤسسات الثقافة (الأسرة ، المدرسة) لم تعد قادرة على حماية الأمن الثقافي للمجتمع، (الرواشدة، ص93) فسعي العولمة إلى إلغاء السيادة و اختراق الشعوب وغزوهم ثقافيا الغاية منه هو إفراغ محتوى الهويات الجماعية ودفعها نحو التشتت فالعولمة تهدف إلى وضع شعوب العالم في قوالب فكرية وقيامها بتهميش الثقافات الأخرى الحية للعالم ؛ بالتالي إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي ، واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب وتعميمي قيم الاستهلاك ، (لوحيدي، 2021، ص460). كما تعمل أيضا على تغريب الإنسان وعزله عن قضاياها وهمومه وإدخال الضعف لديه ، والتشكيك في جميع قناعاته الدينية وهويته الثقافية ، (الرواشدة، ص 93)، وقد تفحص ستيوارت هيل اثر العولمة على الهويات الثقافية فخلص إلى ثلاث نتائج هي :

- تآكل الهويات القومية نتيجة نمو المجانسة الثقافية والحدثة .
- تقوية الهويات القومية وغيرها من الهويات المحلية نتيجة لمقاومة العولمة .
- زوال الهويات القومية واستبدالها بهويات هجينة. (عماد،193).

4. المحور الثالث : أهمية الهوية الثقافية في فك الارتباط مع التبعية من منظور مالك بن نبي

الأفكار والعادات والتقاليد، وأنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والقيم واللغة مكونات ثقافية؛ يشترك فيها أفراد المجتمع ولها دور في توثيق رابطة الشعور المشترك، (سعيداني، 2014، ص100) وتأتي العناصر الثقافية التي طرحها مالك بن نبي كأطر علاجية للمشاكل الحضارية التي نعاني منها اليوم .

1.4 التجديد الثقافي من منظور مالك بن نبي

التجديد الذي ينشده مالك بن نبي في العالم الإسلامي يتحقق بطريقتين:

أولاً: من خلال القيام بعملية تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والثقافي مما فيه من وسائل قتاله لا فائدة منها، أي بطريقة سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي وهذا ما يعرف عند مالك بن نبي بالتجديد السلبي. ثانياً: تطعيم الوسط الثقافي بأفكار فعالة تبعث فيه الحياة من جديد وهذا ما أطلق عليه بالتجديد الايجابي (بن نبي، 2016، ص71).

فهذه النظرية لوحظ أثرها في الثقافة الغربية في عهد نهضتها إذ كان توماس الايكويني (thomas aquinas، 1225-1274 م) ينقحها لتكون الأساس الفكري للحضارة الغربية، فقد كانت ثورته ضد ابن رشد (ibn rushd 1126.1198) وضد القديس اغسطين (augustine ، 354-430م) وهذا حتى يستطيع تصفية ثقافته مما كان يراه فكرة إسلامية أو ميراثاً ميتافيزيقياً للكنيسة البيزنطية، واتي بعده ديكارت (rene descartes 1596.1650) بالتجديد الايجابي ، الذي رسم الثقافة الغربية . (بن نبي. 2013 ص80).

2.4 دور الدين في تشكيل الهوية الثقافية من منظور بن نبي

لا سبيل إلى عودة الثقافة إلى وظيفتها الحضارية إلا بعد تنظيفها من الحشو والانحراف الذي أحدثته عدم فهمنا لمفهوم الثقافة، (نبي ب.، 2013 ص83) فكل عملية تغيير وإصلاح هوية تنتهي إليها يجب أن يكون

هويتها إسلامية وذلك لم يكن موجود، إلا أن الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية العريقة يجب ان تكون المنبع الذي نستقى منه نهضتنا. (العاني، 2009، ص19)

يدخل الحديث عن دور الدين الذي يقوم بتركيب وتشكيل قيم ، تمر من الحالة الطبيعية الى وضع نفسي زمني، يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ويجعل من الوقت اجتماعيا مقدرا بساعات العمل ومن التراب غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط، فالدين مركب للقيم الاجتماعية يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة (حالة انتشاره وحركته عندما يعبر عن فكرة جماعية، ((نبي ب، ص32)، لكن التراجع الحضاري الذي تعيشه الأمة لإسلامية فتح المجال لولوج أفكار غربية فرضت نفسها (العاني، ص16)، ليجد العالم الإسلامي نفسه يتجه بخطى ثابتة نحو عملية التكديس بالتالي فقدانه اتصاله بعالمه الثقافي، ولم يتمكن من الاتصال مع العالم الغربي ليصل في النهاية إلى انخفاض مزدوج للقيم الأصلية والمكتسبة. (طالبي، ص120)

يعتبر مالك بن نبي أن التفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة بالتالي الحضارة في جوهرها هي مجموع القيم الثقافية المحققة والمحيط الذي يتحرك في حدوده الإنسان ، فيغذي إلهامه ويكيف مدى صلاحياته للتأثير عن طريق التبادل ، فالثقافة جو من الألوان، الأنغام، العادات، التقاليد، الأشكال والأوزان التي تطبع على حياة الإنسان اتجاه أسلوب تصوره فتلهم عبقريته وتغذي طاقته ، إذ تعتبر الرباط العضوي بين الإنسان والإطار الذي يحيط به ، فالثقافة إذا هي تعبير عن علاقة الفرد بهذا العالم ، فإذا ما فقد الفرد صلتَه بمجاله الحيوي قررنا انه مات موتا ماديا والأمر ينطبق أيضا على فقدان المجال الثقافي لفقدانه يؤدي إلى موت ثقافي (بن نبي ، 2016، 102) ، ويعلمنا التاريخ إن عالم الأفكار هو الأساس في عملية البناء الحضاري فإذا كانت الحضارة في بعدها التشبيهي تمثل الجسم ، فالثقافة تمثل الدم الذي يغذيها ، والأفكار تمثل جيناتها وبرنامجهما الوراثي ، (باي، 2007، ص71)

فلا سبيل إلى عودة الثقافة لوظيفتها الحضارية إلا بعد تنظيمها وتنظيفها من الحشو والانحراف ، وقد استشهد مالك بن نبي بالحضارة الإسلامية التي كانت نواتها ظهور الدعوة المحمدية التي فكت القيود الفكرية والعقبات ، فكانت الفكرة الدينية المفعول الذي رسم معالم الحضارة الإسلامية فأصبح الفرد مستعدا للبناء (الله ض..، 2014، ص49).

3.4 التربية الثقافية

العالم الإسلامي يختلف في موقفه عن العالم الغربي ، فليست مشكلته في محاولة فهم الثقافة وإنما في تحقيقها بصورة عملية، فلكي تنظم العناصر الثقافية في وحدة عضوية يجب وضع خطة تربوية صالحة لتحقيق هذه الوحدة وبذلك نكون قد تصورنا منهاجاً لتحقيق مشروعنا بصفة فنية (الثقافة م.)، وتتجسد أهداف التربية الجزئية في :

تنمية الوعي من خلال تنمية الشعور بالذات بوضعيتها ومصيرها التاريخي (تخلفها وتبعيتها) وبخصوصياتها الثقافية وانتمائها الحضاري، وهذا من شأنه إيجاد مبررات التي يستمد منها الفرد معاني وجوده بالتالي العمل على تحفيزه على العمل التغييرى ؛ (باي، ص126) فالتربية الاجتماعية كما طرحها

مالك بن نبي وسيلة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تعمل على التغيير وكيف يكون شبكة علاقات التي تؤدي بنشاطه المشترك في التاريخ . (بن نبي ، 1995 ، ص33).

4.5 إعادة هيكلة شبكة العلاقات الاجتماعية

إن الحالة الصحية لشبكة العلاقات الاجتماعية تعبر عن انسجام بين عناصر العالم الثقافي، وهذا الانسجام بدوره يؤدي إلى تعزيز قوة هذه الشبكة ، فهناك علاقة وثيقة بين عناصر العالم الثقافي وشبكة العلاقات الاجتماعية، والتي من خلالها يتحقق التناغم بينها ،(سعيداني، 2014، ص 89) ، فمن خلالها يتعزز البناء والحماية، فالدين هو القلب النابض للحضارة حين يكون مركب لعناصرها المادية وباعثاً لعناصرها الروحية.(سعيداني، 2014، ص 87) ولهذا يولي مالك بن نبي أهمية كبيرة لشبكة العلاقات الاجتماعية فهي العامل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده (بن نبي، 1985، ص 28) ، فنجد لشبكة العلاقات الاجتماعية دور محوري في التصدي لها والخروج من هذه الأزمة من خلال توثيق شبكة العلاقات الاجتماعية، فالغنى الفكري يرتبط تأثيره بمقدار ما يجده من شروط الفاعلية على المستوى الاجتماعي ، ففاعلية الأفكار تخضع لشبكة العلاقات، فلا يمكن تصور عمل متجانس من الأشخاص، الأفكار والأشياء دون الرجوع إلى وجود علاقات أوثق، وهذا يدل على المكانة الإستراتيجية لشبكة العلاقات الاجتماعية بالنسبة لعالم الأفكار والبناء الحضاري .(سعيداني، 2014، ص 77، 78).

فمن الواجب أن لاتوقفنا أخطائنا على السير نحو الحضارة ، فالحياة تدعونا إلى أن نسير إلى الأمام، وذلك بتخطيط ثقافة شاملة يحملها الغني والفقير والجاهل والعالم لتكوين مجتمع بتوازن جديد (بن نبي، نبي ب..، 2013 ص 150)، والتخلص من الأفكار الميتة التي انحرفت عن مثلها لأعلى فانسلخت بذلك من جذورها في تربيتها الثقافية ، ومن ناحية أخرى استرجاع المبررات الكفيلة بخلق توتر جديد الذي من شأنه دفع المجتمع إلى العمل المشترك الفعال (باي، 2007، ص 118) ، من خلال تفعيل الدور الاجتماعي للثقافة لتكون لبنة لهذا البناء وكل قيمة يقدمها ، وكل خلفية تاريخية التي تركز على الثقافة هي التي تبعثها وتحياها . (نبي م..، 2106 ص 134)

6.4 دور العناصر المركبة للثقافة في التصدي لإفرازات العولة

فيما يخص دور العناصر الأربعة المكونة للثقافة ؛ فهي تعمل كسد في مواجهة أخطار العولة الثقافية الحالية، الذي من خلاله يكيف الإنسان المسلم اجتماعيا ، بحيث تصبح تصرفاته غير منافية للزعة الجماعية ، فيعمل على إحياء سلطة ضمير الإنسان وربطها بالمثل العليا ،(باي، 2007، ص 128) فالبرنامج المتكامل يمكن من شحن عناصرها الحية الايجابية ، من خلال توظيف طاقات المجتمع في حركة منتظمة والتي تصلها في أربعة عناصر التي تبعث في الثقافة القدرة على تحقيق غايات النهضة .(بربون، 2010، ص 221)

فالمبدأ الخلقي مرتبط بالفكرة الدينية ومهمته ربط أفراد المجتمع ببعضهم، وهذا العنصر يقوم ببناء عالم الأشخاص، (نبي م..، 2013، ص 94)، الذي من خلاله يكيف الإنسان المسلم اجتماعيا بحيث تصبح

تصرفاته غير منافية للنزعة الجماعية ، فيعمل على إحياء سلطة ضمير الإنسان وربطه بالمثل العليا .(باي، 2007، ص 128).

• المنطق العملي، مصدرا للفاعلية التي تهئ المجتمع لمواجهة مشكلات التخلف، وتعديل أسلوب الحياة بطريقة تأخذ في حسابها إضافة إلى الفعالية كل من الإنسان والوسائل (Benlahcen, 2011, p 70)،

• الصناعة: ويندرج تحته كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم ، ويدخل تحت هذا المسمى أيضا المهن التي تعد هينة بسيطة كالرعي ، وهذا يدل على القيمة الاجتماعية التي ينبغي ان تحتلها المهن البسيطة في عملية البناء الحضاري ، فاستمرارية المجتمع والمحافظة على كيانه مرهون بدرجة اتصاله الفعلي بعالم الأشياء وهذا لا يتحقق إلا بإستثماره الإيجابي لوسائله وقدراته الذاتية في اتجاه بناء صناعته وبالتالي بناء الثمرات المادية للحضارة (عمران، ، 2015، ص 250) .

فقضيتنا منوطة بذلك التركيب الذي من شأنه إزالة التناقضات المنتشرة في مجتمعنا اليوم؛ وذلك من خلال ثقافة شاملة يحملها الغني، الفقير، الجاهل والعالم لتكوين مجتمع بتوازن جديد (العاطف، 2009 ص 150) وأيضا التخلص من الأفكار الميتة التي انحرفت، ومن ناحية أخرى استرجاع المبررات الكفيلة بخلق توتر جديد للعمل المشترك الفعال (باي، 2007، ص 118) من خلال تفعيل الدور الاجتماعي للثقافة التي تعتبر لبنة البناء الأولى والتركيز على الخلفية التاريخية التي تعتبر باعثة للنهوض الحضاري، (نبي م، 2016، ص 134).

خاتمة:

إن الذي يمكن أن نصل إليه كنتيجة لهذه الدراسة التي تناولت بالتحليل والدراسة مشكلة أساسية هي مشكلة الثقافة، ودورها في الانطلاق في المشروع الحضاري من منظور مالك بن نبي، الذي أعطى للثقافة جانبا مهما في دراساته لمشكلات الحضارة، وحاليا قمنا باستعراض مشكلة رئيسية تصادف عملية الرجوع بالثقافة الإسلامية إلى دورها المحوري وهو العولمة التي تعتبر كعائق يثبط حركتها، فالغرب الذي ابتكر مفهوم العولمة، هو الذي حدد لها مضامينها وهويتها ومكوناتها الفكرية والاقتصادية، وهذا هو مصدر التوجس الذي تظهره الأمم والحضارات اتجاهه، فالغرب لا يريد إلا أن يرى نفسه وحضارته في هذا العالم، والتي كانت محصلة اجتهاد بشري وتفاعلات داخل بيئة معينة تعتبر نسبية وليس مطلقة، فما يحتاجه العالم الإسلامي حاليا هو إحداث ثورة وإعادة النظر للمنظومة الثقافية الواردة أو الموروثة، والعمل على تصفيته لتأسيس وعي ثقافي جديد يتماشى مع الموروث الثقافي التقليدي ويساير روح العصر .

فعالة التبعية للنموذج الغربي جراء إفرازات العولمة أدى إلى تراجع وإخفاق المشاريع التنموية والمشروع الحضاري ككل، فالمحرك الأساسي للتغيير يركز على الجانب الثقافي ، وتمثل مقارنة مالك بن نبي المعرفية حول الثقافة في إطار الحضارة مشروعا لم يرى النور على أرض الواقع، وهذا نتيجة إفرازات العولمة

، وتأتي العناصر الثقافية التي طرحها مالك بن نبي كأطر علاجية للمشاكل الحضارية التي نعاني منها جراء عوامل طفيلية تعمل على نخر كيان الأمة الإسلامية، وهذا من خلال بروز عدة سلبيات ظهرت على المستوى الفكري والاجتماعي، فالعودة بالثقافة كما طرحها مالك بن نبي تمكننا بفك علاقة التبعية مع النموذج الغربي للثقافة والدخول من جديد في عملية البناء الحضاري .

أهم الاستنتاجات :

- 1- إن اكبر الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها أي مجتمع أن يعزل قيمه وثقافته عن قضاياها الأساسية والمصيرية .
- 2- بحاجة لإظهار معالم المشروع النهضوي، فالثقافة هي الوعاء الذي يستوعب الهوية ، والتي تعبر عن الشعور بالانتماء.
- 3- إن الخطر الحقيقي على الهوية هو اكتساح المد الغربي الذي يستعمل العولمة كأداة لتحقيق غايته، وقد كان نتيجة ضعف في بنية هذه الثقافات والهويات، لذلك لابد من إعطاء الأهمية في التجديد الداخلي لكسب المزيد من المناعة للتكيف مع العالم حتى لا تهب علينا رياح التغيير الخارجي.
- 4- إن المنظومة الثقافية التي اشتغل عليها مالك بن نبي قائمة أساساً على الربط بين الثقافة والحضارة ، واعتبر أن الثقافة هي مفتاح الحضارة .
- 5- إن الثقافة تمثل العنصر الأهم في بناء المجتمعات الإنسانية .
- 6- تعمل العولمة الثقافية على بناء أرضية ثقافية عامة للعولمة بشكل عام.
- 7- تؤدي العولمة إلى إلغاء الحضارات الأخرى.
- 8- تعمل العولمة على الغزو الثقافي ومحاولة دمجها في ثقافة واحدة.
- 9- تسعى العولمة إلى طمس الهويات الثقافية لصالح هويتها.

الحلول والاقتراحات:

إن الأخطاء التي أوقفنا عن السير نحو الحضارة لا يجب أن نتوقف عندها، فالحياة تسير بنا إلى الأمام، لكن ذلك لا يكون فوضوياً فالحضارة ليست أشياء مبعثرة؛ بل هي تنظيم على جميع المستويات فالتخطيط يجب أن يكون شامل بحيث نعمل على تكوين ثقافة يحملها الغني والفقير في مجتمع يتسم بالتوازن .

- 1- العمل على إعادة الروح الثقافية العربية وتنميتها وتقويتها.
- 2- العمل على تعزيز الثقافة الوطنية من خلال العودة إلى التراث الأصيل بكل عناصره الأصلية لتحسين الثقافة وحمايتها من الانحراف.
- 3- القيام بعملية تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الحلقي مما فيه من وسائل قتالة ، والتخلص من روااسب الماضي.
- 4- تنمية الوعي من خلال تنمية الشعور بالذات؛ الثقافة هوية وخصوصية ولكل أمة ثقافتها، التي تعبر عن شخصيتها ، فاختلاف الأمم يقود إلى اختلاف الثقافات ، مع وجود انفتاح وتبادل بين الثقافات

على أن لا تطغى ثقافة على الأخرى ، فالثقافة تعبر عن حصن الأمة من كل أنواع الخلل والاضطرابات الخارجية؛ إن الانفتاح على العالم الخارجي أمر بديهي لكن دون المساس بالمقومات الأساسية للحضارة الإسلامية.

- 5- الانطلاق والسير في طريق الحضارة يحتاج إلى الأصالة.
- 6- إن مشكلات الحضارة يتم حلها من خلال تحرير الإنسان الذي أعطاه مالك بن نبي أهمية قصوى في مشروعه الحضاري باعتباره الأساس والغاية في آن واحد ، فتحرير الإنسان المسلم الآن من عقده النقص والانهار التي أصابته وأدخلته إلى مستودع الثقافة الغربية للبحث داخلها قاده التكديس منتجاتها واحداث خلل في عالمه الثقافي .

قائمة المراجع

1. انابيل موني، بنتشايافانز. (2009). العولمة المفاهيم الأساسية. (ترجمة: أسيا دسوتي). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
2. الجسور، ناظم عبد الواحد. (2009). موسوعة علم السياسة، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
3. المرسي، كمال عبد الغني. (2005). الخروج من فخ العولمة. القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
4. النواصرة، مصطفى سليمان. (2018). العولمة و أثرها على الثقافة العربية والإسلامية. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
5. العايد حسن، عبد الله. (2004). اثر العولمة في الثقافة العربية. بيروت: دار النهضة العربية.
6. الرواشد ، علاء زهير . (2007) ، العولمة والمجتمع : عمان : دار حامد .
7. العاطف محمد . (2009) ، معوقات النهضة في فكرمالك بن نبي ، الجزائر : دار قرطبة للنشر والتوزيع .
8. بودقزدام، عمران. (2015). التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
9. بن نبي، مالك. (1983). ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية. (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر.
10. بن نبي، مالك. (2016). مشكلة الثقافة. (ترجمة: عبد الصبور شاهين). دمشق: دار الفكر.
11. بن نبي، مالك. (1985). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. (ترجمة: بسام بركة واحمد شعيبو). دمشق: دار الفكر.
12. بن نبي، مالك. (2013). شروط النهضة. (ترجمة: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين). الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
13. برون، فوزية. (2010). مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة. دمشق: دار الفكر.
14. بغداد باي، محمد. (2007). التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، الجزائر: مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع.
15. ملحق استيتية، دلال. (2008). التغيير الاجتماعي والثقافي. ط.2. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
16. نوري، خليل. والعاني ميمر. (2009). الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية. بغداد : ديوان الوقف السني
17. سعود، الطاهر. (2006). التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
18. سعيداني، فاطمة الزهراء. (2014). مكانة شبكة العلاقات الاجتماعية في البناء الحضاري عند مالك بن نبي. الجزائر: كتابك
19. عماد، عبد الغني. (2017). سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكيك وإعادة البناء. لبنان: مركز الوحدة العربية
20. عبد الغني المرسي كمال ، (2005). الخروج من فخ العولمة، القاهرة : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر .
21. قلاتي، البشير. (2019). ما بعد مالك بن نبي نحو تجديد الخطاب الحضاري في مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرون. الجزائر: شركة الأصالة.
22. شفيعة حداد، اسماء بلاغماس، (2019). تأثير العولمة في بعدها الثقافي الهوياتي على الهوية الثقافية الوطنية ، مجلة الامن الانساني العدد الرابع.

23. معيني بوبكر ، فوزي لوحيدي، (2021). تأثير العولمة الثقافية على الهوية الثقافية للشباب المسلم.مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية العدد 4.
24. ضيف الله، بشير. (2014). فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي. الجزائر: بن مرابط للنشر والتوزيع..
25. زند شجاعي ، رضا علي ، تر: حيدر نجف. (2012). الدين والمتغيرات الثقافية المعاصرة (التحديث ، العلمنة ، العولمة)، بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي

26. Benlahcen, Badran (2011). Malik Bennabi's concept and interdisciplinary approach to civilization. **Arab culture, Management and sustainable Development journal**. vol 02. No 01.